كقولك ما عندي كتاب يباع ولا يقتضي نفي الكتاب فمعناه ينبغي ان لهم
شفيعا يطيعه الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ثانيها ان المراد
بالظالمين في هذه الآية هاهنا الكفار لانها وردت في زجر الكفار قال تعالى
ان الشرك لظلم عظيم ثالثها ان لفظ الظالمين اما ان تفيد الاستغراق او لا
فان كان المراد جميعهم فيدخل فيه الكفار وعندنا انه ليس لهذا المجموع
شفيعا لان بعضهم كفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا الجميع شفيع
وان لم يفد الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه
الصفة وعندنا ان الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع ولما امر
الله تعالى بانذار يوم الآزفة وما يعرض فيه من شدة الغم والكرب وان
الظالم لا يجد من حميم ولا شفيع لذكر اطلاعه على جميع ما صدر من
الخلق سرا وجهرا فقال تعالى يعلم خائنة الاعين اي خيانتها التي هي
اخفى ما يقع من افعال الظاهر جعل الخيانة خائنة مبالغة في الوصف
وهي الاشارة بالعين قال ابو حيان من كسر عين وغمز ونظر يفهم ما
يراد ولما ذكر اخفى افعال الظاهر اتبعه اخفى ما في الباطن فقال
تعالى وما تخفي الصدور اي القلوب فعلم من ذلك ان الله تعالى
عالم بجميع افعالهم لان الافعال على قسمين افعال الجوارح وافعال
القلوب فاما افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله تعالى
عالم بها فكيف الحال في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة
لله تعالى لقوله عز وجل وما تخفي الصدور وقوله تعالى والله اي
المتصف بجميع صفات الكمال يقضي بالحق اي الثابت الذي لا ينبغي
يوجب عظيم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت
انه لا يقضي الا بالحق من كل ما دق وجل كان خوف المذنب منه في
الغاية القصوى ولما عول الكفار في دفع العذاب عن انفسهم على

شفاعة

شفاعة هذه الاصنام بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال تعالى والذين
تدعون اي تعبدون من دونه وهم الاصنام لا يقضون بشيء من الاشياء اصلا
فكيف يكونون شركاء لله تعالى وقرأ نافع وهشام تدعون بتاء الخطاب للمشركين
والباقون بياء الغيبة اخبارا عنهم بذلك ولما اخبر تعالى انه لا فعل
لشركائهم وان الامر له وحده قال تعالى مؤكدا لاجل انكار الكفار قطعا لهم
تعلقهم الكاذب بذلك ان الله اي المتفرد بصفات الكمال هو اي وحده السميع
اي لجميع اقوالهم البصير اي بجميع افعالهم يعني ذلك تقرير العلم بخائنة
الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض
بحال ما يدعون من دونه فثبت ان الامر له وحده فما تنفعهم شفاعة
الشافعين ولا يقبل فيهم من احد شفاعة بعد الشفاعة العامة التي
هي خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي المقام المحمود الذي يغبطه
به الاولون والآخرون فان كل احد يحجم عنها حتى يصل الامر اليه صلى الله
عليه وسلم فيقول انا لها انا لها ثم يذهب الى المكان الذي اذن له فيه
فيشفع فيشفعه الله تعالى فيفصل سبحانه وتعالى بين الخلائق ليذهب
كل احد الى دار جنته او ناره ولما اوعدهم بصادق الاخبار عن قوم
نوح ومن تبعهم من الكفار وختمه بالانذار بما يقع في دار القرار للظالمين
الاشرار اتبعه الوعظ والتخويف بالمشاهدة من تتبع الديار والاعتبار
بما كان لهم فيها من عجائب الآثار فقال تعالى اولم يسيروا في الارض
اي في اي ارض ساروا فيها فينظروا اي نظر اعتبار كما هو شأن اهل البصائر
كيف كان عاقبة اي آخر امر الذين كانوا اي سكانا للارض اي عريقين
في عمارتها من قبلهم اي قبل زمانهم من الكفار كعاد وثمود كانوا هم اي
المتقدمون لما لهم من القوة الظاهرة والباطنة اشد منهم اي من هؤلاء
قوة اي ذواتا ومعاني وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)